المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الجزء الرابع والعشرون

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم

هدية
من المؤلف

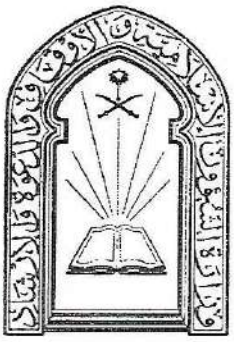

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

بقلم
د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م

الجزء الرابع والعشرون

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الأمانة العامّة لمسابقة القرآن الكريم

ⓒ وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باجودة ، حسن محمد

التفسير البسيط للقرآن الكريم الجزء الرابع والعشرون. / حسن محمد باجودة - ط ٢ .. - الرياض ، ١٤٢٧هـ

. . ص ١ . . سم

ردمك :٤-٥٤٩-٢٩-٩٩٦٠

١- القرآن - التفسير الحديث أ - العنوان

ديوي ٦, ٢٢٧ ٤٠٤٤ / ١٤٢٧

رقم الإيداع: ٤٠٤٤ / ١٤٢٧

ردمـــك : ٤-٥٤٩ - ٢٩ -٩٩٦٠

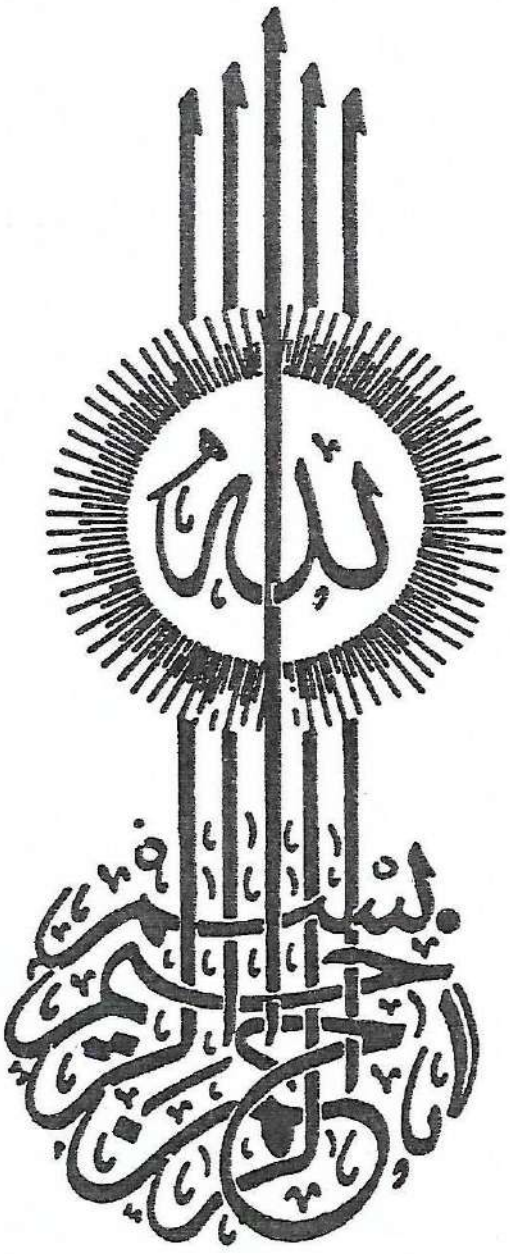
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الرّابع والعشرين من القرآن الكريم ، يغطّي تمام سورة الزُّمر ، وسورة غافر ، وأكثر سورة فصّلت . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الثلاثة والعشرين السّابقة.

إن هذا الجزء الرّابع والعشرين هو جزء من ميْدان التفسير للمتسابقين ، في الحقل الأوّل ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التفسير ، من بين الحقول الخمسة في المسابقة السّنويّة الدّولية السّابعة والعشرين ، لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره التي عقدتها وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، برئاسة معالي وزيرها الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ في أثناء الفترة من ١٣ / ٨ / ١٤٢٦هـ حتى ٢٠ / ٨ / ١٤٢٦هـ الموافق ١٧ / ٩ / ٢٠٠٥م حتى ٢٤ / ٩ / ٢٠٠٥م. وكأنّ هذا التفسير تتويجٌ للأعمال التي تمّت في مجال التفسير ، في أثناء المسابقة.

وأنتهز هذه المناسبة المباركة ، كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، وعلى رأسها معالي الوزير ، على الفرصة التي منحتني إياها، بأن أقوم بعمل هذا التفسير ، الّذي حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه ، على أمورٍ أهمها ثلاثة :

١- أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات.

٢- أن أشير إلى الدّروس التي يمكن أن تستفاد .

٣- أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه سميعٌ مجيب.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

مكة المكرمة

صبيحة يوم الأحد ٢١ / ٤ / ١٤٢١هـ

الموافق ٢٢ / ٧ / ٢٠٠٠م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

أولاً

تمام سورة الزُّمـر

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ
فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ
بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ
رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى
مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ
ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا
ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ
لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟
يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ
نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ

تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ
جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ
ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ
﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا
قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ
وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ
قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ
أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

بين يدي التفسير

(١)

" مصير المكذّبين المشركين خزي الدّنيا والآخرة ومصير المصدّقين الموحّدين عزّ الدّنيا والآخرة " .

الآيات (٣٢ - ٤١) .

لا أحد أظلم ممّن كذب على الله تعالى بنسبة الصّاحبة والولد والشّريك إليه جلّ وعـــلا ، وكذّب بالقرآن الكريم ، قول الصّدق وكلمة الحق ، إذا جاءه القرآن الكريم مـــرتّلاً عـــلى لسان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . أليس في جهنم مأوًى للكافرين ومسكن ؟ بلى والجواب محذوفٌ لأنّه معروف. والّذي جاء بالصّدق ، وهو محمّد ﷺ ، وصدّق به ، وهم أمته عليه الصلاة والسلام ، أولئك هم المتّقون . لهم ما يشاء ون عند ربّهـــم عـــزّ وجـــلّ في جنّات النّعيم . ذلك جزاء المحسنين أعمالهم والذين بلغوا مرتبة الإحسان . ليكفّر الله تعالى عنهم أسوأ الذي عملوا ، فليسوا معصومين وليسوا ملائكة، ولكنّهم إذ أذنبوا بادروا إلى التوبة النصوح ، وليجزيهم الله تعالى أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا . ويجهل المشركون أن الله سبحانه وتعالى مانعٌ حبيبه صلى الله عليه وسلم أذى الأشرار وكيد الفجّار ، لذا هم يخوّفونه آلهتهم العاجزة التي يعبدونها من دون الله تعالى . إنّ من يضلله الله تعالى فماله من هاد. وإنّ من يهده الله تعالى فماله من مضلّ ، إن الله تعالى يعزّ أولياءه وينصرهم ، ويذلّ أولياء الشيطان ويخذلهم.

وكفّـــار قريش مقرّون بتوحيد الرّبوبيّة ، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله . إنكّ يا محمـــد لـــو سألت مشركي قومك : من خلق السماوات والأرض وما بينهما ليقولنّ خلقهنّ الله تعالى . قل يا محمد لهم : لما ذا لا تقرنون توحيد الألوهيّة بتوحيد الرّبوبيّة .

وتوحيد الألوهيّة هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد . إنّ الله تعالى هو الذّي ينبغي أن يفرده الخلق بالعبادة . ودليلاً على استحقاق الله تعالى أن يُعْبَدَ وحده يظهر السّياق عجز الآلهة المزعومة .

قل يا محمّد لمشركي قومك : أرأيتم ما تعبدون من دون الله تعالى إن أرادني الله تعالى بضرٍّ من مرض وفقرٍ وما إليهما هل هنّ كاشفات ضرّه ؟ أو أرادني الله تعالى بخيرٍ من صحّةٍ وغنىً وما إليهما هل هنَّ ممسكات رحمته عزّ وجل التي وسعت كلّ حيٍّ وشيء ؟ ولأن الجواب معروفٌ : لا ، فهو محذوف . أما وقد تأكّد عجز الآلهة ورغم ذلك يصرّ المشركون على عبادتها فإنّ الحقّ جلّ وعلا يأمر حبيبه ﷺ أن يقول للمشركين : حسبي الله تعالى وكافيّ ، عليه أتوكّل وعليه يتوكّل المتوكّلون .

أما أنتم أيها القوم فسوف تندمون ولكن بعد فوات الأوان فاعملوا على مكانتكم وحالكم وشاكلتكم ، إنّي عاملٌ على مكانتي وحالي وشاكلتي .

ويلاحظ البلاغة بالحذف في القول : ﴿ إِنِّي عَٰمِلٌ ﴾ وعلى سبيل التهديد يقول المصطفى ﷺ لهم : فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه في الحياة الدّنيا كهزيمة بدر، ويحلّ عليه يوم القيامة عذابٌ مقيمٌ في نار الجحيم .

إنّ على المشركين المكذّبين أن يتحوّلوا موحّدين مصدّقين للرّسول الكريم الّذي أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم الّذي يهدي للطّريقة التي هي أقوم من كلّ طريقة . فمن اهتدى فلنفسه ، لأنّ ثواب الهداية راجعٌ إليه. ومن ضلّ فإنّما يضلّ على نفسه ، لأن عقاب الّضلالة مرتدٌّ عليه . وما أنت يامحمّد عليهم بوكيلٍ ولامسيطرٍ ولاحفيظ كي ترغمهم على الهدى . إنك يا محمّد تملك هدى الدّلالة والإرشاد ، والله تعالى وحده يملك هدى التوفيق والإسعاد.

(٢)

" لله تعالى القادر على كلّ شيء الشّفاعةُ يوم القيامة ، والآلهة الزّائفة تخذل عابديها الذين يدخلون النّار "

الآيات (٤٢ ـ ٥٢)

مـــن الأدلّة على القدرة المطلقة لله تعالى أنه عزّ وجلّ يستوفى عمر الأنفس حين موتهـــا ، ويستوى وقت التّمييز والعقل للأنفس التي لم تمت في منامها . أما التي قضى عليها الموت فيمسكها . أما التي لم يقض عليها الموت فيرسلها إلى أجلٍ مسمّىً ، ووقت محدّدٍ ، تنتهي عنده حياتها ، وينقضي أجلها . إنّ في ذلك لآياتٍ دالاّت على قدرة الله تعـــالى المطلقـــة لقوم يتفكرون ويستعملون عقولهم استعمالاً صحيحاً. أم أنّ المشركين اتّخذوا من دون الله تعالى شفعاء يشفعون لهم ويقرّبونهم إلى الله تعالى زلفى ويرفعونهم منزلة ! قل يا محمد لهم أتتخذون تلك الآلهة الزّائفة شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً من حطـــام الدّنيا ولا يعقلون. ولا يخفى البلاغة بالحذف في القول ﴿ أَوَلَوْ كَانُواْ ﴾ والمعنى : أتتّخذونهم شفعاء ولو كانوا . ويكون التّبيين الصّريح ووضع البديل الصحيح. قل يا محمد لله تعالى الشفاعة جميعاً يوم القيامة. لله تعالى ملك السّماوات والأرض وإليه نُرجع جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء.

ولا يكاد العجب ينتهي من المشركين : إنّهم إذا ذُكِر الله تعالى وحده لاشريك له ودُعُوا إلى إفراد الله تعالى بالعبادة انقبضت قلوبهم ونَفَرَتْ، وإذا ذُكِرت الآلهة الزّائفة الّتي يعبدونها من دون الله تعالى استبشرت قلوبهم وانبسطت.

وتجـــاه عمى بصيرة القوم وضلالهم المبين قل يا محمّد ويا أيها المؤمن : يا ألله، يا فاطـــر السّماوات والأرض وموجدهما على غير مثالٍ سابق، ويا عالم الغيب والشّهادة، والسّـــر والعلانية، أنت تحكم بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدّنيا في أمر الدّين.

وكمـــا كانت الآلهة المزعومة عاجزةً عن إنقاذ عابديها من النّار يوم القيامة كان مبدأ الفداء مرفوضاً أساساً. إنّ الّذين أشركوا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه وكان مبدأ الفداء مقبولاً لافتدوا به أنفسهم من سوء العذاب يوم القيامة. وظهر لهم من الله تعـــالى ما لم يكونوا يظنّون ويتوقّعون. وظهر لهم سيّئات ما عملوا في الحياة الدّنيا، وحلّ بهم العذاب الّذي كانوا يستهزئون به ويستعجلونه في الحياة الدنيا.

وكذلك لا يكاد العجب ينتهي من المشركين بسبب جعلهم الحياة الدّنيا منتهى همّهم فإذا كانوا في نعمةٍ نسوا الله تعالى وأشركوا معه في العبادة سواه، وإذا مسّهم الضّرّ دعوا الله مخلصين له الدّين. إنّهم لا يقرّون بتوحيد الألوهية إلاّ إذا مسّهم الضّرّ . أمّا قبل ذلـــك وبعـــده فإنهم ينسون الله تعالى ومن الأدلة على غفلة المشركين وغبائهم وعدم فطنـــتهم لمكر الله تعالى بهم أنّ الله تعالى إذا أنعم عليهم من فضله قال الواحد منهم إنما أوتيـــت هذا الخير لأنّ الله تعالى يعلم استحقاقي له بسبب مواهبي الفائقة، واجتهاداتي الـــرائقة. وجهـــل أنّ هذه النعم استدراجٌ من الله تعالى وابتلاء وفتنة. وهكذا لا يدرك المشـــركون تلـــك المعاني والمرامي. هذا ما قاله مشركو مكّة، وهذا ما قاله المشركون السّـــابقون ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من أموال حينما أتاهم عذاب الله تعالى وهـــم عـــنه معرضـــون. لقد أصاب المشركين السّابقين جزاء ما كسبوا من سيّئات، ومشركو مكّة سيصيبهم كذلك جزاء ما كسبوا من سيئات. وما هم بمعجزي الله تعالى

ولا فائديـــه. أجهل المشركون و لم يعلموا أن الله تعالى يبسط الرّزق لمن يشاء اختبارا، ويضيق الرّزق لمن يشاء ابتلاءً. إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون أمّا الكافرون فغافلون.

ولا يخفـــى الـــبلاغة بـــالحذف في القول : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ ويصحّ أن يكون التّقدير: أجهلوا و لم يعلموا .

(٣)

" قيام السّاعة، ودخول الكافرين النّار بعدل الله تعالى، ودخول المتّقين الجنّة بفضل الله تعالى "

الآيات (٥٣ ـ ٧٥)

القرآن الكريم يهدي دائماً وأبداً إلى الطريقة الّتي هي أقوم إنّ الحق جلّ وعلا يأمر حبيبه ﷺ أن يقول عن جنابه عزّ وجلّ: يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم بارتكاب المعاصـــي : لا تقنطوا من رحمة الله تعالى ولا تيأسوا إنّه لا ييأس من رحمة الله تعالى إلاّ القـــوم الكافرون . إن الله سبحانه وتعالى يغفر الذّنوب جميعاً، إنّ الله تعالى هو الغفور ذنـــب مـــن تاب، الرّحيم بمن آمن وعمل صالحاً . إنّ عليهم الإنابة إلى الله تعالى فوراً بالتّوبة النصوح، وإخلاص العمل لله تعالى، من قبل أن يأتيهم العذاب الّذي يستبعدونه ثمّ لا ينصرون بصرف العذاب عنهم أو تخفيفه. وإنّ عليهم أن يهتدوا بنور القرآن الكريم وأن يتّـــبعوا أحســـن ما أُنْزِل إليهم من ربّهم عزّ وجلّ، من قبل أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون به ولا يعلمون لئلاّ تقول نفسٌ مذنبةٌ بعد فوات الأوان يا حسرتي على ما ضيّعت من حقّ الله تعالى، وإنّي كنت من السّاخرين المستهزئين بالعذاب المستهينين بالتّوبة. ولئلاّ تقول نفسٌ لو أنّ الله هداني إلى الصّراط المستقيم لكنت من المتّقين عذاب

النّار بعمل الصّالحات الّتي أردت بها وجه الله تعالى الّذي أسلمت لـــه وأذعنت. ولئلاّ تقول نفسٌ حين ترى العذاب لو أنّ لي دعوة إلى الحياة الدّنيا فأكون من المحسنين عملي، وذلك باتباع القرآن الكريم الّذي يهدي للطّريقة الّتي هي أقوم.

وهكذا تترابط الآيات الثلاث الكريمات الأوّل في القسم وتتلاحم معنويّاً، وهكذا تُبْنى عليها الآيات الثلاث الكريمات التّالية، وترتبط الأولى بالأولى، والثانية بالثانية والثالثة بالثالثة، من الوجهة المعنويّة. والله تعالى أعلم.

ولا معـــنى لكلّ ما جاء على لسان الكافر المستهزئ فقد جاءته آيات الله تعالى فعلاً فكذّب بها واستكبر وكان من الكافرين.

ويـــوم القيامة ترى يا محمّد ويا أيّها المؤمن الّذين كذبوا على الله تعالى فأشركوا وجوههم مسودّة. إنّ في جهنّم مثوىً للكافرين ومسكناً. وينجّي الله تعالى الذين اتّقوا بسعادتهم وبما سبق إليه علم الله تعالى من فوزهم ونجاتهم لا يمسّهم السّوء يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدّنيا من نعيم زائل.

الله تعـــالى هـــو وحده المستحقّ أن يفرد بالعبادة، لأنه خالق كلّ شيءٍ ومدبّره والرّقيب عليه. له مفاتيح السّماء والأرض من ماءٍ ونباتٍ ونحوهما. والّذين كفروا بآيات الله تعالى هم الخاسرون حقاً في الأولى والآخرة .

قل يا محمّد للمشركين: أفغير الله تعالى تأمرونّي أعبد أيّها السّفهاء. ولقد أوحي إلـــيك يا محمّد وإلى النّبيّين من قبلك لئن أشركت مع الله تعالى في العبادة غيره ليبطلنّ عملـــك ولتكوننّ في الآخرة من الخاسرين. بل الله تعالى فاعبده وحده دون سواه وكن من الشّاكرين له نعمه وآلاءه بإفراده بالعبادة وإخلاص العبادة له.

إنّ المشركين ما قدروا الله تعالى حقّ قدره، وما عرفوه حقّ معرفته، وما عظموه حقّ عظمته، وإلاّ لوحّدوه وأفردوه بالعبادة. إنّ الله تعالى على كل شيء قدير. فالأرض

جميعاً قبضته يوم القيامة وتحت تصرّفه، والسّماوات مطويّات بيمينه وتحت أمره، تنزّه الله تعالى عمّا ألحقه به المشركون ممّا لا يليق بعظمته وتعالى علوّاً كبيراً.

ونفخ إسرافيل عليه السّلام بأمر ربّه في الصّور أي القرن الّذي يشبه البوق، النّفخة الأولى نفخة الموت، فمات من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله تعالى من الحور والولدان ومن إليهما. ثمّ نفخ النّفخة الثّانية نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، فإذا الخلائق منذ عهد آدم عليه السّلام قيامٌ ينتظرون ما يفعل الله تعالى بهم. وأضاءت الأرض بنور ربّها عزّ وجلّ حينما تجلّى سبحانه لفصل الحساب بين الخلائق، ووضِعَ كتاب الأعمال الّذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، وجيء بالنّبيّين وأممهم الّذين يشهد مؤمنوهم أنّ رسل الله تعالى قد بلّغوا الرّسالة، وأدّوا الأمانة، وكانوا لقومهم النّاصحين الأمناء، وجيء بأمّة محمّد ﷺ كي تشهد بما شهد به نبيّها ﷺ بأنّ النّبيّين قد بلّغوا رسالة ربّهم عزّ وجلّ على خير وجه، وقضى الحق جلّ وعلا بالحقّ بين النّبيّين وأممهم، ولا يُظْلم أحدٌ بحذف حسنةٍ أو إضافة سيّئة ووفى الله تعالى كلّ نفسٍ جزاء ما عملت من خيرٍ أو شرّ، وهو جلّ وعلا أعلم بما فعلوا في الحياة الدّنيا من خيرٍ أو شرٍ.

وسِيق الّذين كفروا بربهم إلى جهنّم بعنفٍ جماعةٍ إثر جماعة. حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها جرياً على عادة معاملة المجرمين في الحياة الدنيا إذ تُفْتح لهم أبواب السّجون فور وصولهم وتغلق وراءهم فور دخولهم. وقال للمشركين خزنة جهنّم وحفظتها على سبيل التبكيت والتّقريع: ألم يأتكم في الحياة الدّنيا رسلٌ من جنسكم كي تأنسوا إليهم وتفهموا منهم يتلون عليكم آيات ربّكم عزّ وجلّ البيّنات وينذرونكم ما تلقونه في يومكم هذا. قالوا بلى قد جاءونا وأنذرونا، ولكن وجبت علينا كلمة ربّنا بدخول

الكافرين نار جهنّم قالت لهم ملائكة العذاب : ادخلوا أبواب جهنّم السّبعة خالدين فيها فبئس مأوى الكافرين جهنّم ومسكنهم.

وسيق الّذين اتّقوا عذاب ربّهم وخافوا القيام بين يديه إلى الجنّة بلطف جماعةً إثر جماعة. حتّى إذا جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها جرياً على عادة المبجّلين في الحياة الدّنيا إذ تُفْتح لهم أبواب القصور قبل وصولهم إكراماً لهم أن ينتظروا حتّى تفتح لهم البواب. إنّ جواب الشّرط محذوف لأنّه معروفٌ ولكي يذهب الذّهن كلّ مذهب في تخيّل مدى سرور المتّقين وحبورهم. لقد كان فرح المتّقين ليس عليه من مزيد وقال لهم حفظة الجنّة سلامٌ عليكم طاب ثوابكم لطيب عملكم في الحياة الدّنيا فادخلوا الجنّة خالدين فيها فدخلوها وقالوا الحمد كلّه لله تعالى الّذي صدقنا وعده بدخول الجنّة، والّذي أورثنا أرض الجنّة نتزل من الجنّة حيث نشاء ونشتهي فنعم ثواب العاملين الجنّة.

وترى يا محمّد ويا أيّها المؤمن الملائكة محدقين ومحيطين بعرش الرّحمن يقولون : سبحان الله وبحمده، وقُضي بين الخلائق بالعدل، وقال الكون كلّه انتهاءً كما قال ابتداءً : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

التفسير

(١)

" مصير المكذّبين المشركين خزي الدّنيا والآخرة

ومصير المصدّقين الموحّدين عزّ الدّنيا والآخرة " .

الآيات (٣٢ - ٤١) .

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

فمن أظلم ممّن كذب على الله: لا أحد أظلم [1] ممّن كذب على الله تعالى بنسبة الصّاحبة والولد والشريك إلى الله جلّ وعلا [2] وكذّب بالصّدق : بالقرآن الكريم [3] .

مثوى : مأوى ومسكن [4]

والّذي جاء بالصدق : هو رسول الله ﷺ [5] وصدق به : هم المؤمنون [6] .

إنّه لا أحد أظلم ممّن كذب على الله تعالى فنسب إلى الله تعالى الصّاحبة والولد والشّريك، كمشركي العرب الّذين زعموا أنّ الملائكة بنات الله تعالى فعملوا أصناماً على الصّورة الّتي تخيلوا فيها الملائكة فعبدوها. وكذلك لا أحد أظلم ممّن كذّب بالصدق إذ جاءه، وبالقرآن الكريم الموحى به إلى محمدٍ ﷺ إذ وصل إليه فعلاً على لسان الرّسول الكريم ﷺ . ويلاحظ مجيء جملة : ﴿ جَآءَهُۥٓ ﴾ والمعروف أنّ هذه الجملة تُستَعمَلُ في الدّلالة على القرب، وهي هنا تدلّ على وصول القرآن الكريم إليه فعلاً.

---

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ٨٩ والجلالين .

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٤ / ٣ وتفسير ابن كثير ٧ / ٨٩ والجلالين.

(٣) تفسير الطبري ٢٤ / ٣ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤ / ٣ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤ / ٣ والجلالين وتفسير ابن كثير ٧ / ٩٠ .

(٦) تفسير الطبري ٢٤ / ٣ وتفسير ابن كثير ٧ / ٩٠ والجلالين.

ألـــيس في جهنّم مثوىً للكافرين ومأوى، مترلٌ ومسكن. بلى إنّ للكافرين بالله تعـــالى، المكذّبـــين للرّسول الكريم، المنكرين للقرآن العظيم، المشركين مع الله تعالى في العبادة سواه، مستقرّاً في نار جهنّم ومصيراً.

لقد جمع هؤلاء الكافرون الباطل من طرفيه [1] فأشركوا وكذّبوا الرسول ﷺ .

والّـــذي جـــاء بالصدق من ربّ العالمين وبالقرآن الكريم والّذي نزل به الرّوح الأمـــين، والذّيـــن صدّقوا به ﷺ وبما أوحى الله تعالى إليه من كتابٍ مجيد، أولئك هم المـــتّقون، إنّهـــم اتّقوا عذاب الله تعالى بالإيمان والتّصديق وعمل الصّالحات واجتناب السّيّئات. إنّ لهؤلاء ما يشاءون يوم القيامة عند ربّهم عزّ وجل، ممّا تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين في جنّات النّعيم. إنّ ذلك النّعيم المقيم جزاء المحسنين يوم القيامة.

وجزى الله تعالى هؤلاء المحسنين بإحسانهم كي يكفّر عنهم أسوأ الّذي عملوا في الدنـــيا [2] ويثيبهم بأحسن الّذي كانوا يعملونه فيها من صالح الأعمال. فعلى من عمل السّيّئات أن يبادر إلى التّوبة النّصوح كي يدخل بفضل الله تعالى جنّات النّعيم.

---

[1] تفسير ابن كثير ٧ / ٨٩ .

[2] انظر تفسير الطبري ٢٤ /٤ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١/ ١٤٩ .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

ألـــيس الله تعالى كافياً حبيبه ﷺ ومانعه أذى الأشرار وناصره على الكفّار؟ بلى والله ليكفيـــنّه الله ويعـــزّه وينصره كما وعده [1] ويلاحظ أنّ هذا الوعد من الحقّ جل وعلا في أثناء الفترة المكّيّة حينما كان المؤمنون مستضعفين في الأرض.

ويخوّفك المشركون أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم آلهتهم الزّائفة الّتي يعبدونها من دون الله تعالى وأصنامهم العاجزة، الّتي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها جلب نفع أو دفع ضرّ .

ومـــن يضلله الله تعالى ويكتب عليه الشقاوة ودخول النّار فماله من هادٍ يقوى عـــلى حمله على اعتناق الهدى والسّير في الطّريق المستقيم. ومن يهده الله تعالى ويشرح صدره للإسلام ويكتب له الجنّة دار السّلام فماله من مضلّ يقوى على صرفه عن سلوك الصّراط المستقيم، المفضي إلى جنات النّعيم.

أليس الله تعالى هو العزيز في ملكه الّذي يكفي عبده ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مســـتقيم. أليس الله تعالى هو المنتقم من أعدائه الضّالين المضلّين الّذين يخوّفون المؤمنين آلهـــتهم العاجزة؟ بلى، إن الله سبحانه وتعالى عزيزٌ ذو انتقام، يعزّ أولياءه ويذلّ أولياء الشّيطان.

---

[1] تفسير الطبري ٢٤ / ٥ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

قـــل حســـبي الله: حَسْب يُستَعْمل في معنى الكفاية : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [1] أي كافينا هو[2] أي : الله كافيّ [3] وبيده الضّر والنّفع لا إلى الأصنام والأوثان الّتي لا تَضرّ ولا تنفع [4] .

على مكانتكم : على طريقتكم [5] وحالتكم [6] ومكانكم [7].

عذابٌ يخزيه: في الدّنيا [8] .

عذابٌ مقيم : دائمٌ مستمرّ لا محيد له عنه، وذلك يوم القيامة[9] ولئن سألت أيّها الرّسول الكريم وأيّها المؤمن أولئك المشركين: من خلق السّماوات والأرض وأوجدهنّ

---

[1] سورة آل عمران (١٧٣) وسورة التوبة (٥٩) .

[2] مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حسب " ١ / ١٥٢ .

[3] تفسير ابن كثير ٧ / ٩١ .

[4] تفسير الطبري ٢٤ / ٦ .

[5] تفسير ابن كثير ٧ / ٩٢ .

[6] الجلالين .

[7] مفردات الرّاغب الأصفهاني : " مكن " ٢ / ٦٠٩ .

[8] تفسير ابن كثير ٧ / ٩٢ .

عـــلى غير مثالٍ سابقٍ ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم. إنهم مقرّون بتوحيد الرّبوبيّة، فالله تعـــالى خالق كلّ شيءٍ والقيّوم عليه. وتوحيد الرّبوبية هو توحيد الله تعالى بأفعاله من خلـــقٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ وما إلى ذلك. إنّ الله تعالى هو فاعل كلّ ذلك وحده دون سواه.

وكان يلزم القوم أن يقرنوا توحيد الألوهيّة بتوحيد الرّبوبيّة وتوحيد الألوهيّة هو توحـــيد الله تعالى بأفعال العباد، فالله تعالى هو الّذي ينبغي على الناس أن يعبدوه وحده دون ســـواه. والعجيب في أمر المشركين أنّهم يشركون الآلهة العاجزة مع الله تعالى في العـــبادة. وإيمـــاءً إلى عجـــز هذه الآلهة المزعومة يأمر السّياق النّبيّ ﷺ أن يقول لهم : أخبروني عن الآلهة الّتي تعبدونها من دون الله تعالى، إن أرادني الله تعالى بضرٍّ من مرضٍ أو فقـــرٍ وما إلى ذلك هل الآلهة المزعومة كاشفات ضرّه جلّ وعلا. أو أرادني الله تعالى برحمة من صحّةٍ أو سعة رزقٍ وما إلى ذلك هل هنّ ممسكات رحمته أو صارفات خيره. والجـــواب : لا . وهو محذوفٌ لأنّه معروف. ونحن هنا أمام مظهرٍ من مظاهر البلاغة بالحذف.

قل يا محمّد الله تعالى حسبي وكافيّ، عليه أتوكلّ وعليه يتوكلّ المتوكّلون.

قـــل يـــا محمّد لقومك : اعملوا على حالتكم وطريقتكم إنّي عاملٌ على حالتي وطـــريقتي . ولا نـــزال مع البلاغة بالحذف. فسوف تعلمون أيّها المشركون من يأتيه عـــذابٌ في الدّنـــيا يخزيه كهزيمتهم يوم بدر، ويحلّ عليه عذابٌ مقيمٌ في الآخرة في نار الجحيم .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾

وما أنت عليهم بوكيل : بحفيظ [1]

إن طريق الهداية هو اتباع القرآن الكريم الّذي تبيّنه سنّة المصطفى ﷺ . وإلى هذا الطـــريق أومأت الآية الكريمة. إنّ الله سبحانه وتعالى أنزل عليك يا محمّد الكتاب بالحقّ لهدايـــة النّاس إلى الطّريق الّتي هي أقوم. فمن اهتدى فلنفسه اهتداؤه، لأن الثّواب راجعٌ إلـــيه ومـــن ضلّ فعلى نفسه ضلاله، لأنّ العقاب واقعٌ عليه. وما أنت يا محمّد عليهم بوكـــيل ولا حفيظ. أنت لا تستطيع أن ترغمهم على الهدى، وإنما عليك البلاغ وعلى الله تعالى الحساب .

---

[1] تفسير الطبري ٢٤ / ٦ .

(٢)

" لله تعالى القادر على كلّ شيء الشّفاعةُ يوم القيامة ،
والآلهة الّزائفة تخذل عابديها الذين يدخلون النّار "

الآيات (٤٢ ـ ٥٢)

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

الله يتوفّى الأنفس : الوفاة : المنيّة. والوفاة : الموت. وتُوُفّي فلان وتوفّاه الله إذا قبض نفْسه. وفي الصّحاح : إذا قبض روحه. وقال غيره : تَوَفّي الميّت استيفاء مدّته الّتي وُفِيَت له وعدد أيّامه وشهوره وأعوامه في الدّنيا. وتوفّيت المال منه واستوفيته إذا أخذته كلّه ..... قوله عزّ وجلّ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي يستوفي مُدَد آجالهم في الدّنيا ..... وأمّا توفّي النّائم فهو استيفاء وقت عقله وتمييزه إلى أن نام"[1]

والّتي لم تمت في منامها : ويتوفى أيضاً الّتي لم تمت في منامها.[2]

الله تعالى قيّوم السّماوات والأرض هو وحده المحيي المميت . إنّه جلّ وعلا يتوفى الأنفس حين موتها ويقبض الأرواح بعد استيفاء كلّ نفسٍ ما كتب الله تعالى من عُمُر في هيئة الأعوام والشهور والأيّام والساعات والدّقائق والثّواني. والله تعالى يتوفّى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها بعد استيفاء كلّ نفسٍ وقت تمييزها ووعيها وعقلها إلى أن نامت.

والله تعالى يُمسك عنده النّفس الّتي قضى عليها الموت وكتب لها الوفاة، ويرسل النّفس الأخرى إلى جسد النائم فيستيقظ وتعود إليه الحياة إلى أجلٍ مسمًّى هو انقضاء العمر، واستيفاء الأجل.

---

[1] لسان العرب " وفى " .

[2] تفسير الطّبري ٢٤ / ٧ .

إن الله تعالى وحده دون سواه هو الذي يفعل ذلك. وإن في ذلك لآيات دالاّت على قدرة الله تعالى المطلقة لقومٍ يتفكّرون تفكيراً رشيداً، ويقولون قولاً سديداً . إنّ القادر على كل ذلك قادرٌ على بعث الخلائق أحياء يوم القيامة بعد الفناء.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

أم : منقطعة بمعنى بل [1]

أَوَلَو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون : أتتّخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرّاً ولا يعقلون شيئاً [2]

بل اتّخذ كُفّار مكّة الأصنام الّتي يعبدونها من دون الله تعالى شفعاء تشفع لهم عند ربّهم حسب زعمهم وتقرّبهم إليه زلفى، وتزيد مترلتهم عنده عزّ وجلّ علوّاً ورفعة. قل لهم يا محمّد : أتتّخذون تلك الآلهة المزعومة شفعاء لكم عند الله تعالى ولو كانوا لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولو كانوا لا يعقلون شيئاً إنّ الأصنام يكفيها أنّها جماد كي يدرك من كان لديه أدنى مُسْكة من عقل أنها أحط من الحيوان الّذي لا يسمع إلاّ دعاءً إن كان قريباً من داعيه، أو نداءً إن كان بعيداً، دون أن يعي معنى ما يسمع.

---

[1] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٥٦ والجلالين .

[2] تفسير الطبري ٢٤ / ٧ .

قـــل يـــا محمّد لأولئك الّذين يعبدون الأصنام ليقرّبوهم إلى الله تعالى زُلْفىَ : لله تعـــالى وحـــده دون سواه الشفاعة جميعاً، فلا يشفع عنده عزّ وجلّ إلا من أذن لـــه ورضي له قولاً بأن شفع لمن قال في الدّنيا لا إله إلا الله .

إن هـــذه الشّفاعة الّتي يملكها الله تعالى وحده دون سواه من الأدلة على أنّ لله تعـــالى ملك السّماوات والأرض، فهو الّذي يستحق أن يُعْبَد وحده دون سواه . ويوم القـــيامة نرجع إلى الله تعالى جميعاً فيحاسبنا، ويثيبنا على الحسنات بفضله، ويعاقبنا على السيئات بعدله. لا رادّ لقضائه عزّ وجلّ ولا معقّب لحكمه سبحانه .

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

اشمأزّت : نفرت من توحيد الله تعالى وانقبضت[1]

يستبشرون : يفرحون ويسرّون [2]

وإذا ذُكِـــر الله تعـــالى وحده لا شريك لـــه وجاء ذكر التّوحيد نفرت قلوب المشركين وانقبضت، اشمأزت وانصرفت، لأنّهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا يعملون من أجلـــه. وإذا ذُكِـــر الّذين يعبدونه من دون الله تعالى من الأصنام والأوثان وجاء ذكر الشّرك يفجؤك المشركون بفرحهم لذكر الأصنام، وابتهاجهم لذكر الشّرك.

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ٨ .

[2] تفسير ابن كثير ٩٣ وتفسير الطبري ٢٤ / ٨ .

وأنت لا تملك تجاه هذا الموقف الّذي يشيب له رأس الحليم إلاّ أن تفرّ إلى أحكم الحاكمين وتقول : يا ألله يا فاطر السّماوات والأرض وموجدهما على غير مثالٍ سابقٍ، يـــا عالم الغيب والشّهادة، ما غاب عن البشر وشاهدوه بعيونهم الّتي في رؤوسهم أنت تحكـــم بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا في أمر الدّين. ومن بين الّذين تحكم لهم أو عليهم الموحّدون السّعداء، والمشركون الأشقياء.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

يفصل الله تعالى يوم القيامة بين المحقّين والمبطلين ويؤخذ بالمؤمنين ذات اليمين إلى الجـــنّة، ويؤخذ بالكافرين ذات الشمال إلى النّار. في ذلك الوقت يوقن الكافرون أنّهم كـــانوا هـــم الظّالمين حقّا. ولو أنّ للّذين ظلموا آنذاك ما في الأرض جميعاً ومثله معه وتمكـــنوا من الافتداء لافتدوا بذلك كلّه من سوء العذاب، ولكنّ مبدأ الفداء مرفوضٌ أساســـاً. وظهـــر لأولـــئك الظالمين من الله تعالى ما لم يكونوا يحتسبون ويتوقّعون من العـــذاب. وظهـــر لهم سيّئات ما كسبوا في الحياة الدّنيا، فكلّ ذلك مدوّنٌ في كتاب الأعمال وحلّ بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب ويستعجلون .

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

ثمّ إذا خوّلناه نعمةً : ثمّ إذا أعطيناه فرجاً ممّا كان فيه من الضّرّ [1]

إنّما أوتيته على علم : يعني على علمٍ من الله بأنّي له أهلٌ لشرفٍ ورضاه بعملي [2]

فتنة : بلاءٌ ابتليناهم به واختبارٌ اختبرناهم به [3].

من هؤلاء : من قومك يا محمدّ [4].

وما هم بمعجزين : وما يفوتون ربّهم ولا يسبقونه هرباً في الأرض من عذابه إذا نزل بهم ولكنّه يصيبهم [5] .

فـــإذا مسّ جنس الإنسان الكفور للنّعم ضرٌّ من مرضٍ أو فقرٍ أو خوفٍ وما إلى ذلـــك دعا الله تعالى وحده لاشريك له أن يكشف عنه السّوء ويزيل عنه الضّرّ . ثمّ إذا أعطـــاه الله تعالى نعمةً منه فكشف ضرّه وأزال بؤسه قال إنما أوتيت الخير على علمٍ من

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ٩ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : " خول " ١ / ٢١٦ .

[2] تفسير الطبري ٢٤ / ٩ .

[3] تفسير الطبري ٢٤ / ٩ .

[4] تفسير الطبري ٢٤ / ٩ .

[5] تفسير الطبري ٢٤ / ٩ .

الله تعـــالى بأنّي أهلٌ له لمواهبي وأستحقّه لخصائصي. ليس الأمر كما ظنّ هذا الإنسان الغِـــرّ بل النّعمة الظّاهرة فتنةٌ من الله تعالى وابتلاءٌ واختبار، ليعلم عزّ وجلّ علم ظهورٍ الّـــذي يشكر الله تعالى نعمه وآلاءه ويصبر على اختباره وابتلائه وعلى الطّاعات وعن المعاصي. إنّ الإيمان شطرٌ شكرٌ وشطرٌ صبر. ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون أنّ الله تعالى يختبرهم بالنّعم كما يختبرهم بالنّقم.

قـــد قال هذه المقولة الفاسدة الّذين من قبلهم كقارون فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من أعمال حينما أتاهم عذاب الله تعالى وهم معرضون عنه جلّ وعلا، مقبلون على الآثام.

فأصاب أولئك الظّالمين عقاب السّـــيّئات الّتي كسبوا، والذين كفروا بالله تعالى مـــن قومك يا محمّد سيصيبهم عقاب السّيّئات الّتي كسبوا، وما هم بمعجزين الله تعالى ولا فائتيه إن أراد أن يصيبهم عذابه، وينالهم عقابه.

أجهـــل القوم و لم يعلموا أنّ الله تعالى يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده اختباراً، ويضيّق الرّزق على من يشاء ابتلاء. إنّ بسط الرّزق ليس دليل رضا الله تعالى على من يبســـط رزقه، فقد يكون ذلك استدراجاً من الله تعالى ومكراً، وإنّ تضييق الرّزق ليس دلـــيل غضب الله تعالى على من يضيّق عليه رزقه، فقد يكون ذلك ابتلاءً من الله تعالى واختباراً، ليعلم عزّ وجلّ علم ظهورٍ أيصبر المرء أم يجزع .

إن في بسط الله تعالى الرّزق لعباده وتضييقه عليهم لآيات دالات على قدرة الله تعـــالى المطلقة لقوم يؤمنون ويعلمون أنّ الفضل بيد الله تعالى يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

(٣)

" قيام السّاعة، ودخول الكافرين النّار بعدل الله تعالى، ودخول المتّقين الجنّة بفضل الله تعالى "

الآيات (٥٣ ـ ٧٥)

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

لاتقنطوا من رحمة الله : القُنوط اليأس من الخير . يقال قَنَط يقنط وقنِط يَقْنَط[1] يقول : لا تيأسوا من رحمتي [2].

وأنيبوا إلى ربّكم : وارجعوا إليه بالطّاعة له [3] .

وأسلموا له : واخضعوا له بالطّاعة والإقرار بالدّين الحنيفي [4] .

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم : هو القرآن العظيم [5] .

بغتة : فجأة [6] .

سبب النّزول :

روى البخاريّ في صحيحه [7] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ ناساً من أهل الشّرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا. فأتوا محمّداً ﷺ فقالوا : إنّ الّذي تقول

---

[1] مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قنط" ٢ / ٥٣٤ .

[2] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٠ .

[3] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٢ .

[4] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٢ .

[5] تفسير ابن كثير ٧ / ١٠١ وتفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ والجلالين .

[6] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ .

[7] فتح الباري ٨ / ٥٤٨ حديث رقم ٤٨١٠ .

وتدعوا لَحسَن. لو تُخبِرُنا أنّ لما عملنا كفّارة. فنزل [1] : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ ونزل : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ وجاء في أسباب النّزول للنّيسابوري [2] ما يفيد أنّ الآية الكريمة نزلت معها آيات أخر حتّى قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ تمام الآية الكريمة السّتّين . وذكر العلماء أكثر من سبب لنزول الآية الكريمة، أو لنزول الثّلاث الآيات الأوَل معاً [3] أو لنزول الآيات الكريمات جميعاً [4] .

قل يا محمد على لساني يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم في ارتكاب المعاصي وإتيان الذّنوب لا تقنطوا من رحمة الله تعالى ولا تيأسوا من رَوْح ربّكم عزّ وجلّ بمعنى رحمته. إنّ الله سبحانه وتعالى يغفر الذّنوب جميعاً بالتّوبة النّصوح بالإقلاع عن الذّنب، والنّدم على فعله، وعقد العزم على عدم إتيانه مرّة أخرى، وإن كان ثمّة حقٌّ لآدمّي أعاده إليه أو استسمحه. إنّ الله تعالى هو الغفور الرّحيم لمن تاب وأناب إلى ربّه عزّ وجلّ.

وأنيبوا إلى ربّكم عزّ وجلّ وارجعوا إليه بالطّاعة له، وأسلموا له جلّ وعلا وأخلصوا العمل له وابتغوا به وجه ربّكم الكريم جلّ وعلا، من قبل أن يأتيكم العذاب من حيث لا تتوقّعون ثمّ لاتُنْصرون بصرف العذاب عنكم أو تخفيفه.

---

[1] سورة الفرقان ٦٨ .

[2] ص ٤٢٩ .

[3] انظر تفسير الطّبري ٢٤ / ١٠ .

[4] انظر – مثلاً – أسباب النّزول للنّيسابوري ٤٢٧ – ٤٢٩ .

واتّـــبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم عزّ وجلّ وخصّكم به من قرآن كريم وكـــتاب عزيز دون سائر الأمم والشّعوب، وسيروا في الطّريقة الّتي هي أقوم وأحسن والّـــتي يهدي إليها، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة من حيث لا تحتسبون ويصيبكم وأنتم لا تشعرون بهجومه عليكم وإهلاكه لكم.

ومـــمّا جاء بشأن الآية الكريمة الأولى من حديث ما رواه الإمام أحمد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أحبّ أنّ لي الدّنيا وما فيها بهـــذه الآية : ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ إلى آخر الآية . فقال رجل : يا رســـول الله، فمن أشرك ؟ فسكت النّبي ﷺ ثم قال : ألا ومن أشرك . ثلاث مرّات. تفرّد به الإمام أحمد [1] .

قـــال ابن حجر في فتح الباري [2] بشأن الآية الكريمة : " واستدلّ بعموم هذه الآيـــة على غُفران جميع الذّنوب، كبيرها وصغيرها، سواء تعلّقت بحقّ الآدميين أم لا . والمشـــهور عند أهل السّنّة أنّ الذّنوب كلّها تغفر بالتّوبة، وأنّها تغفر لمن شاء الله ولو مات عـــلى غير توبة. لكنّ حقوق الآدميّين إذا تاب صاحبها من العود إلى شيءٍ من ذلك تنفعه التوبة من العَوْد. وأمّا خصوص ما وقع منه فلابد له من ردّه لصاحبه أو محاللته منه.

نَعَم . في سعَة فضل الله ما يمكن أن يعّوض [3] صاحب الحقّ عن حقّه ولا يعذّب العاصي بذلك. ويرشد إليه عموم قوله تعالى [4] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ والله أعلم " .

---

[1] تفسير ابن كثير ٧ / ٩٧ .

[2] ٨ / ٥٥٠ .

[3] في الأصل : يعرض . ولعلّ الصّواب ما ذكرنا.

[4] سورة النساء ٤٨ و ١١٦ .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أن تقول نفس : لئلاّ تقول نفس [1]

يا حسرتا : يا : أداة نداء وتحسّر . حسرتا : منادى متحسَّرٌ به مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على ما قبل الألف المنقلبة عن الياء. وهي مضافٌ إليه[2] والحسرة : النّدامة[3] .

على ما فرّطت : على ما ضيّعت من العمل [4] .

في جنب الله : في أمر الله [5] وحدّه الّذي حدّه لنا [6].

وإن كنت لمن السّاخرين : إن مخفّفة من الثقيلة وهي مهملةٌ وجوبا. واللّام الفارقة بين إن النّافية والمخفّفة[7] .

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ .

[2] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٦٤ .

[3] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ .

[4] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ .

[5] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٣ .

[6] مفردات الرّاغب الأصفهاني : ١ / ١٢٩ .

[7] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٦٥ .

أهـــمّ ما يلاحظ بالمقارنة إلى ما سبق من آيات كريمات أنّ كلاً من المجموعتين تتألف من ثلاث آيات كريمات. ووراء ذلك يصحّ أن تكون كلّ آية من الآيات الثّلاث ترتبط معنوياً بالآية الكريمة الّتي تماثلها وتترتب عليها.

إنّ معـــنى الآيـــة الكريمة الأولى، والله تعالى أعلم، لئلا تقول نفسٌ يوم القيامة يا حسرتي ويا ندامتي على ما فرّطت وقصّرت في جنب الله تعالى وأمره وحدّه الّذي حدّهُ لـــنا ونهانا عن تجاوزه. وإنّي وراء ذلك كنت من السّاخرين المستهزئين بالرّسول الكريم والنّبي العظيم. وهذا المعنى يصّح أن يكون مرتبطاً بمعنى الآية الكريمة الأولى في المجموعة السّـــابقة ومترتـــباً عليه. وكأنّ عباد الله تعالى الّذين أسرفوا على أنفسهم في ارتكاب المعاصـــي، ولم يهتبلوا فرصة التّوبة النّصوح وقد فتح الله تعالى لهم باب رحمته الواسعة، ولم يسألوا الله تعالى الغفور الرحيم أن يغفر لهم ذنوبهم ويستر عيوبهم. إنهم تجاوزوا كل ذلك إلى السخرية والاستهزاء فحقّ عليهم دخول النّار ونداء الحسرة والنّدامة .

وإنّ معـــنى الآيـــة الكريمة الثّانية، والله تعالى أعلم، أو لئلاّ تقول نفسٌ لو أنّ الله تعـــالى هـــداني ووفقني للإيمان لكنت من المتقين عذاب النّار بالإيمان وعمل الصّالحات وبلـــوغ درجـــة التّقوى. وهذا المعنى يصحّ أن يكون مرتبطاً بمعنى الآية الكريمة الثّانية السّابقة ومترتباً عليه. وكأن الّذين تمنّوا أن تكون هداية التّوفيق من نصيبهم، وهي الهداية الّتي يقدر الله تعالى وحده دون سواه عليها ، كأنّهم قد أدركوا أنّهم في الدّنيا قد أهملوا هدايـــة الدّلالة الّتي يقدر عليها كلّ الدّعاة إلى الله تعالى وفي مقدّمتهم رسل الله تعالى. إنّهم لم يرجعوا إلى الله تعالى بالطّاعة، ولم يخلصوا العبادة لله تعالى حتّى قبضت ملائكة العذاب أرواحهم فجأة قبل أن يتوبوا وينيبوا إلى ربّهم عزّ وجلّ.

وإنّ معـــنى الآية الكريمة الثالثة ، والله تعالى أعلم، أو لئلاّ تقول نفسٌ حين ترى العذاب يوم القيامة لو أنّ لي كرّة وعودةً إلى الحياة الدّنيا مرّة أخرى فأكون من المحسنين

العمـــل، الـــبالغين درجة الإحسان بأن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهذا المعنى يصحّ أن يكون مرتبطاً بمعنى الآية الكريمة الثّالثة السّابقة ومترتباً عليه. وكأنّ الّذين تمنّوا العودة إلى الحياة الدّنيا كي يتداركوا ما فاتهم قد أدركوا أنّهم في الدّنيا قـــد عصوا الله تعالى فلم يتّبعوا أحسن ما أنزل الله تعالى إليهم من قرآنٍ كريمٍ وكتابٍ عزيز حتى أتاهم العذاب بغتةً وهم لا يشعرون. والله تعالى أعلم.

ويصـــح أن تكون الآية الكريمة التّالية دليلاً على تلاحم الآيات السّت الكريمات السّابقات.

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

بلى : حرف جوابٍ لإيجاب السّؤال المنفيّ [1].

أيّهـــا النّادم على ما فرّطت في جنب الله تعالى المتمني لو أن الله تعالى هداك في الحـــياة الدّنـــيا أو لو أنّ الله تعالى أعادك إلى الحياة الدّنيا كي تؤمن وتعمل صالحاً، قد جاءتك آياتي الّتي أوحيتها إلى رسولي محمّد ﷺ فكذبت بها، واستكبرت عن الإيمان بها، واتّباع محمّد ﷺ ، وتوحيدي، وكنت من الكافرين بتلك الآيات الكريمات، الجاحدين لها، العاملين عمل الكافرين المستكبرين .

---

[1] الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٦٦ .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

مثوى : مأوى ومسكن [1] .

بمفازتهم : بفوزهم [2] وبما سبق لهم من السّعادة والفوز عند الله [3] بسبب فضائلهم وأعمالهم الصّالحة [4] .

لا يمسّهم السّوء : أذى جهنّم [5]

ولا هم يحزنون : على ما فاتهم من آراب الدّنيا إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان [6] .

ويوم القيامة ترى أيّها المؤمن الّذين كذبوا على الله تعالى بنسبة الصّاحبة والولد والشّريك إليه وجوههم مسودّة بسبب الأسى الّذي هم فيه والخسران المبين الّذي آلوا إليه. أليس في جهنّم مأوى للمتكبرين ومسكن للمتعجرفين؟ بلى .

وفي المقابل ينجيّ الله تعالى الّذين اتّقوا عذاب الله تعالى فآمنوا وعملوا الصّالحات، بما سبق لهم من السّعادة في علم الله تعالى والفوز عنده جلّ وعلا. إنّهم لا يمسّهم أذى جهنّم ولا هم يحزنون على مآربهم في الدنيا دار الغرور.

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٥ .

[2] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٥ .

[3] تفسير ابن كثير ٧ / ١٠٢ .

[4] انظر تفسير الطّبري ٢٤ / ١٥ .

[5] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٦ .

[6] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٦ .

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

وكيل : قيّمٌ بالحفظ والكلاءة [١] ومتصرّفٌ فيه كيف يشاء [٢] له مقاليد السّماوات والأرض : المقاليد المفاتيح واحدها مِقليد، بكسر الميم [٣] والإقليد المفتاح وهو المقليد [٤] أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنّبات وغيرهما [٥] .

الله سبحانه وتعالى خالق كلّ شيءٍ وهو على كلّ شيءٍ قيّمٌ بالحفظ والرّعاية والتّدبير. ولله تعالى مفاتيح خزائن السّماوات والأرض من ماءٍ ونباتٍ وما إليهما. والّذين كفروا بآيات الله تعالى البيّنات وبكتاب الله تعالى العزيز أولئك هم الخاسرون حقّاً في الأولى والآخرة.

إنّ الخزي نصيبهم في الأولى وإنّ سوء العذاب نصيبهم في الآخرة.

---

[١] تفسير الطّبري ٢٤ / ١٦ .

[٢] الجلالين .

[٣] انظر تفسير الطّبري ٢٤ / ١٦ .

[٤] لسان العرب : " قلد " .

[٥] الجلالين .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ
إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قل يا محمّد لمشركي قومك الّذين يدعونك إلى الشّرك وترك التّوحيد : أفغير الله تعالى تأمرونني أيّها الجاهلون السّفهاء أن أعبد وأدعو. إنّ عليكم أنتم أن تهجروا الشرك إلى التّوحيد، لأنّ الشّرك هو الذّنب الوحيد الّذي لا يغفره الله تعالى لمن مات مشركاً.

ولقـــد أُوحِيَ إليك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لئن أشركت مع الله تعالى غيره في العبادة ليبطلن عملك الصّالح ولا تنال عليها ثواباً، لأنّ إخلاص العمل لله تعالى شـــرطٌ لقـــبول العمل الصّالح بمقياس الإسلام. وإنّ من بطل عمله لهو أكبر الخاسرين. وكما أوحى الله تعالى هذا المعنى إلى حبيبه ﷺ أوحي إلى سائر الرسل المصطفين الأخيار الّذيـــن أخلصوا العبادة لله تعالى من النبيّين والمرسلين عليهم صلوات الله تعالى وسلامه أجمعين .

ومعروفٌ أنّ وجود الشّرط لا يعني تحقّق معناه في دنيا الواقع، فما أشدّ إخلاص العبادة لله تعالى من المصطفين الأخيار عباد الله تعالى المخلصين.

دعـــك يا محمّد من هراء المشركين وتنبّه فاعبد الله تعالى وحده لا شريك له [1] وكن من الشاكرين له بإفراده بالعبادة .

---

[1] انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١ / ١٧٠ .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

جـــاء في صحيح البخاري [1] : " باب : وما قدروا الله حقّ قدره .... عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حَبْرٌ [2] من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمّد، إنّا نجد أنّ الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثّرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك. فضحك النّبي ﷺ حتّى بدت نواجذه [3] تصديقاً لقول الحَبْر. ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وجـــاء في صـــحيح البخاري [4] : " باب : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّـــماوات مطويّاتٌ بيمينه ..عن أبي سَلَمة أنّ أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـــول : يقْبِض الله الأرض، ويَطْوِي السّماوات بيمينه ثمّ يقول : أنا الملك . أين ملوك الأرض "؟

---

[1] فتح الباري ٨ / ٥٥٠ حديث رقم ٤٨١١ والحديث رواه الإمام أحمد ومسلم والتّرمذيّ والنّسائيّ . انظر ابن كثير ٧/ ١٠٤.

[2] الحبر بفتح المهملة وبكسرها أيضاً : العالم ، والمراد هنا عالمٌ من علماء اليهود.

[3] النّواجذ الأنياب . الواحد ناجذ . ويقال : ضحك حتّى بدت نواجذه : استغرق في الضّحك . " قال النّووي : وظاهر السياق أنّه ضحك تصديقاً له بدليل قراءته الآية الّتي تدلّ على صدق ما قال الحبر .

[4] فتح الباري ٨ / ٥٥١ حديث رقم ٤٨١٢ .

وعـــن عبيد الله بن مقَسم أنّه سمع عبد الله بن عمر يقول: رأيت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : يأخذ الجبّار سماواته وأرضه بيديه. وقبض رسول الله يديه. وجعل يقبضهما ويبسطهما. قال ثمّ يقول : أنا الرّحمن أنا الملك، أين الجبّارون أين المتكبرون. وتمايل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله حتّى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شيء منه، حتّى إنّي لأقول : أساقطٌ هو برسول الله ﷺ ! [1]

وقد روى الحديث الإمام أحمد ومسلم والنّسائي وابن ماجه.[2]

وما قدروا الله حقّ قدره : وما عظّم الله حقّ عظمته هؤلاء المشركون بالله الّذين يدعونك إلى عبادة الأوثان [3] وما عرفوه حقّ معرفته.[4]

والأرض جميعاً : لمّا وقع ذكر الأرض مفرداً حسن تأكيده بقوله ﴿ جَمِيعًا ﴾ إشـــارة إلى أنّ المراد جميع الأراضي.[5] .

قبضـــته يـــوم القيامة : أي في حَوْزه حيث لا تمليك لأحد [6] والقبض في اللغة تناول الشيّ، بجميع الكفّ نحو قبض السيف وغيره.[7]

وما قدر المشركون الله تعالى حقّ قدره، ولا عظّموه حقّ عظمته، ولا عرفوه حقّ معرفـــته وإلاّ لما أشركوا وما دعوا غيرهم إلى الشّرك ونبذ التّوحيد. والأرضون السّبع كلّها قبضته يوم القيامة، والسماوات مطوّياتٌ بيمينه عزّ وجل.

تنـــزّه الله تعالى عمّا ألحقه به الظالمون ممّا لا يليق به، وتعالى علواً كبيراً عمّا نسبه إليه المشركون من الصّاحبة والولد والشّريك.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٤ / ١٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ٧ / ١٠٥ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٤ / ١٧ .
(٤) الجلالين .
(٥) فتح الباري ٨ / ٥٥١ .
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قبض " ٢ / ٥٠٦ .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قبض " ٢ / ٥٠٦ .

وبشـــأن القبضـــة في الآية الكريمة واليمين نحن نقول ما قال السّلف بشأنهما وبشأن أمثالـــهما من الألفاظ من غير تشبيه ولا تـــمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. يقول ابـــن كـــثير مـــثلاً[1] : " وقـــد وردت أحاديث كثيرة متعلّقةٌ بـــهذه الآية الكريمة. والطّـــريق فيها وفي أمثـــلها مذهب السّلف.وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تـــحريف"[2]

وفي الاتّجـــاه نفسه يقول ابن تيمية عن الاستـــواء على العـــرش في الرّسالـــة التّدمريّة[3] : " فـــإذا قال السّائل : كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومـــالك وغيرهما ﷺ : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عن الكيفية بدعة، لأنه سؤال عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه " .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

ونُفخ في الصّور : ونفخ إسرافيل في القرن[4] النّفخة الأولى[5] .

---

(1) تفسير ابن كثير ٧ / ١٠٤ .

(2) انظر هنا – مثلا – ما قال ابن تيمية عن الآية الكريمة في الرّسالة التّدمريّة ٢٥ .

(3) ص ١٧ .

(4) تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٠ .

(5) تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٠ .

فصعق : فمات[1] .

إلاّ من شاء الله: من الملائكة والحور والولدان [2] .

ثمّ نفـــخ فيه أخرى : ثمّ نفخ في الصور نفخة أخرى ، وهي نفخة البعث. وذكر أنّ بين النفختين أربعين سنة [3].

فـــإذا هم قيامٌ ينظرون : فإذا من صعق عند النّفخة الّتي قبلها وغيرهم من جميع خلـــقّ الله الّذيـــن كانوا أمواتاً قبل ذلك قيامٌ من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم [4].

وأشرقت الأرض بنور ربّها: وأضاءت الأرض بنور ربها وذلك حين يبرز الرّحمن لفصل القضاء بين خلقه[5] .

ووضع الكتاب : كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم [6].

وجيء بالنّبيّين : ليسألهم ربّهم عمّا أجابتهم به أممهم وردّت عليهم في الدنيا حين أتتهم رسالة الله [7] .

والشّهداء : أمّة محمّد ﷺ يستشهدهم ربّهم على الرّسل فيما ذكرت من تبليغها رســـالة الله الّتي أرسلهم بها ربّهم إلى أممهم إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله. والشّـــهداء جمـــيع شهيد . وهذا نظير قول الله [8] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [9]

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٠.

[2] انظر تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٠ – ٢٢ والجلالين وتفسير ابن كثير ٣ / ٢٧٦ – ٢٨٢ .

[3] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢١.

[4] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢١.

[5] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢١.

[6] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٢.

[7] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٢.

[8] سورة البقرة الآية ١٤٣ .

[9] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٢.

وقضيَ بينهم بالحقّ : وقضي بين النبيّين وأممها بالحقّ . وقضاؤه بينهم بالحقّ أن لا يَحْمِل على أحدٍ ذنب غيره ولا يعاقب نفساً إلاّ بما كسبت [1].

ووفّيت كلّ نفسٍ ما عملت : ووفّى الله حينئذٍ كلّ نفسٍ جزاء عملها من خيرٍ أو شرّ [2].

وهو أعلم بما يفعلون في الدّنيا : من طاعةٍ أو معصية [3] ونفخ إسرافيل عليه السّلام بأمر ربه عزّ وجلّ في البوق أو القرن النفخة الأولى فمات من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله تعالى من الحور والولدان ومن إليهما . ثمّ نفخ إسرافيل عليه السّلام بأمر ربه عزّ وجلّ في البوق أو القرن النفخة الأخرى نفخة البعث فإذا الأموات منذ آدم عليه السّلام قيامٌ من قبورهم أحياء ينتظرون فعل الله تعالى بهم. وبين النفختين أربعون سنة. روى البخاريّ في صحيحه [4] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أنّ النّبيّ ﷺ قال : ما بين النفختين أربعون. قالوا : يا أبا هريرة، أربعون يوماً ؟ قال : أَبْيت[5] قال : أربعون سنة؟ قال : أَبْيت. قال : أربعون شهراً؟ قال : أَبْيت . ويَبْلَى كلّ شيءٍ من الإنسان إلاّ عَجْب[6] ذنبه، فيه يركّب الخلق. وجاء في تفسير الطّبري[7] : " عن قتادة : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ قال نبيّ الله : بين

---

[1] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٣ .

[2] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٣ .

[3] تفسير الطّبري ٢٤ / ٢٣ .

[4] فتح الباري ٨ / ٥٥١ حديث رقم ٤٨١٤ .

[5] أبيت : امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف . فتح ٨ / ٥٥٢ .

[6] العجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحّدة. وهو عظمٌ لطيفٌ في اصل الصّلب، وهو رأس العُصْعُص، وهو مكان رأس الذّنب من ذوات الأربع. وفي حديث أنّه مثل حبّة الخردل. فتح ٨ / ٥٥٢ ويُضرب بالخردل المثل في الصّغر. المعجم الوسيط .

[7] ٢٤ / ٢٢ .

النفخـــتين أربعون . قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنّهم كانوا يرون من رأيهم أنّها أربعون سنة. وذكر لنا أنّه يبعث في تلك الأربعين مطرٌ يقال له مطر الحياة حتّى تطيب الأرض وتهتّز وتنبت أجساد النّاس نبات البقل، ثمّ ينفخ فيه الثّانية فإذا هم قيام ينظرون " .

وأضـــاءت الأرض بـــنور ربّها عزّ وجلّ وذلك حين يبرز الرّحمن الرّحيم لفصل القضاء بين خلقه، ووضع كتاب الأعمال الّذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، وجـــيء بالنّبيّين وبالشّهداء من أمّة محمّد ﷺ الّذين يشهدون بما أخبرهم به الرّسول ﷺ عن ربّه عزّ وجلّ بأنّ جميع الرّسل قد بلّغوا أممهم رسالة ربّهم جلّ وعلا وأدّوا الأمانة، وكانوا لقومهم النّاصحين الأمناء . وقضى الله تعالى بين النّبيّين وأممهم بالحقّ، ولا أحد يُظْلم بحذف حسنة أو إضافة سيّئة.

ونالت كلّ نفسٍ جزاء عملها كاملاً غير منقوص، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر. والله تعالى أعلم بما فعلوه في الدّنيا فيعفو إن شاء بفضله أو يعاقب بعدله. ولا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه سبحانه.